سحيم آل ثاني*

مراجعة كتاب
انتقام الجغرافيا
The Revenge of Geography

الملخص التنفيذي

المؤلّف: مجموعة باحثين.

الناشر: راندوم هاوس / ٢٠١٢ / الطبعة الأولى.

عدد الصفحات: ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير.

* باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

لعل كتاب **انتقام الجغرافيا**[1] للكاتب روبرت كابلان من الكتب المهمّة في مجال الدِّراسات السِّياسية والجيوسياسية. فهذا الأمر رغَّبني في أنْ أتناوله بالشرح والتَّلخيص، وفي إلقاء الضّوء على أهمّ ما جاء بين طيّاته عسى أنْ يكون هاديًا للمهتمين بأمور السياسة والمشتغلين بها. فهذا الكتاب هو في الجيوسياسية، وأمّا مؤلِّفه فهو عضوٌ رفيع المستوى في مركزِ أمنٍ أميركي جديد، وقد كان في السَّابق عضوًا في إدارة روبرت غيتس، في مجلس سياسة الدفاع.

وقد صدَر كتابه ذاك عام ٢٠١٢، عن دار النشر (راندوم هاوس) في الولايات المتحدة الأميركية، وكان الهدف مِنْ تأليفه، هو، التَّنبيه إلى مخاطر غَضِّ السياسيّين والأكاديميّين، في تحليلاتهم السياسية، أنظارَهم عن النظريات الجيوسياسية؛ إذ يرى الكاتب أنَّ الخريطة وتاريخ العولمة أبعدَا التَّحليل السِّياسي عن مسارِه الصحيح.

والكتاب في مُجمله مُقسَّم إلى ثلاثة أجزاء؛ فالجزء الأوّل منه، واسمه المستشرفون، يحتوي على ثمانية فصول وهو يقدِّم للقارئ ملخَّصًا لأعمال العلماء الأكثر شهرةً وتأثيرًا في المجال الجيوسياسي، ومنهم ماكندر الإنكليزي الَّذي كتب في ذلك عام ١٩٠٤م، وسبايكمان الأميركي ذو الأصل الهولندي الَّذي كتب في ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية، والكاتب ماهان الأميركي، المُتخصّص في الإستراتيجية البحرية، وقد كتب في ذلك أيضًا عام ١٨٩٠م، والمؤرخ هودجسون الَّذي تخصّص في تاريخ العالم الإسلامي.

وأمّا الجزء الثَّاني، مِن هذا الكتاب، المُسمَّى خريطة القرن الواحد والعشرين، فهو يحتوي على ستّة فصول، وفيها يُحلّل كابلان نظريات المحلّلين المذكورين، ويُدمجها في أحيان كثيرة، في تحليله الخاصّ، بأوضاع دُول يراها - في ماعدا الولايات المتحدة - مُؤثِّرةً في السِّياسة؛ وهي روسيا، والصين وألمانيا، وإيران، وتركيا، ودُول أخرى يعدُّها محوريّة، ومن ثمّة فإنّ سقوطها في يد دولة مؤثِّرة قد يُغيِّر الخريطة الجيوسياسية للعالم؛ وهذه الدّول هي اليونان، وأوكرانيا، وبولندا، وأفغانستان، وتايوان، وكوريا في حال توحّد شطريها. ويرى كابلان أنَّ هذا الأمر لا مفرَّ منه.

والجزء الثَّالث مِنَ الكتاب هو أقصر أجزائه، وأمّا اسمه فهو "مصير أميركا"، وهو يحتوي على فصلٍ واحدٍ فقط، ويركِّز فيه "كابلان" على الولايات المتحدة، وينتقد ما يرى أنه من الأخطاء الإستراتيجية التي ارتكبتها الولايات المتحدة. ويُحذِّر في هذا الفصل مِنْ إهمال الولايات المتحدة المكسيك، ويُبيِّن تأثير هذا الإهمال في مستقبل الدولتين، ويرى أيضًا أنَّ دخول الولايات المتحدة في حروبٍ لا ناقةَ لها فيها ولا جمل؛ مثلما حدَث في العراق وأفغانستان، يُلهيها عن الخصْم الإستراتيجي الصيني الَّذي قَدْ يكون في المستقبل قادرًا على تحدّي الهيمنة الأميركية.

> "مع أن من المفترض أن يُحسِّن تداعي الحدود الاصطناعية احترامنا للجغرافيا وللخارطة الطبوغرافية، وما تشير إليه في ما يتعلق بمنطقة البلقان والشرق والأوسط، إلا أن إزالة جدار برلين جعلتنا عميانا تجاه الحواجز الجغرافية الحقيقية التي لا تزال تقسمنا، ولا يزال يتعين علينا مواجهتها"

الجزء الأوّل: المستشرفون

الفصل الأوّل

سمّى الكاتب هذا الفصل "من البوسنة إلى بغداد"، وفيه يُقدِّم تحليله السِّياسي مِنْ مُنطلق الفقدان، إذ إنّه يرى أنَّ أهمية الجغرافيا في أذهان البشر قد تلاشت، وأنَّ البشر قَدْ فقدوا هذا العامل المهمّ في تحليلاتهم، وخصوصًا بعد سقوط جدار برلين، وقد أعرب عن هذا بقوله: "مع أن من المفترض أن يُحسِّن تداعي الحدود الاصطناعية احترامنا للجغرافيا وللخارطة الطبوغرافية، وما تشير إليه في ما يتعلق بمنطقة البلقان والشرق والأوسط، إلا أن إزالة جدار برلين جعلتنا عميانا تجاه الحواجز الجغرافية الحقيقية التي لا تزال تقسمنا، ولا يزال يتعين علينا مواجهتها" (ص ٣). ويتحدث كابلان في الفصل الأوّل عن فكرة أوروبا الوسطى، وينتقد المحَلّلين الَّذين كانوا يتوقَّعون بروز هذه المنطقة سياسيًّا بقوله: "على الرّغم من أنّ تضخيم أوروبا الوسطى، كما يفعل المحلّلون الحكماء، هو هدفٌ نبيل... فإنّ هناك عَقَبةً لا بدّ أنْ أتعامل معها؛ وهي أنَّ فكرة أوروبا الوسطى لا توجد على الخريطة الجغرافية" (ص ٢٤).

---

١ الكتاب باللغة الإنجليزية، وهذه بياناته:
Robert D. Kaplan, *The Revenge of Geography: What the Map Tells Us About Coming Conflicts and the Battle Against Fate* (New York: Random House, 2012).
سنشير في متن النص عند الإحالة إلى مقاطع من الكتاب إلى رقم الصفحات منه بين قوسين.

الفصل الثّاني

في الفصل الثّاني المُسمَّى "انتقام الجغرافيا"، يُركِّز الكاتب على نظريات الواقعيِّين في العلاقات الدولية. ويتّفق في هذا الشأن مع نظرية ثوسيديدس الَّتي تقول: إنَّ الطَّبع البشري، ومن ثمّة طبْع الدول، مبني على ثلاثة طباعٍ أساسية؛ هي: الخوف، والمصلحة الشَّخصية، والشَّرف (ص ٢٧). ويُبيّن الكاتب أنَّ النظام بالنسبة إلى الدّول - بحسب رأيه ورأي المدرسة الواقعية أيضًا - أهمّ مِنَ الحريّة، وهو يستند في ذلك إلى نموذج العراق بعد سقوط صدام" (ص ٢٩). ويرى الكاتب أنّ عامل الجغرافيا، هو، مؤثِّر آخر في السياسات الدولية؛ إذ إنّه يُقيِّد الكثير من الدول، في حين أنه يمنحُ دولًا أخرى فُرصًا لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى (ص ٣٩).

> إنَّ الطَّبع البشري، ومن ثمّة طبْع الدول، مبني على ثلاثة طباعٍ أساسية؛ هي: الخوف، والمصلحة الشَّخصية، والشَّرف

الفصل الثالث

أطلق كابلان على هذا الفصل اسم "هيرودوتس وخلفاؤه"، وفيه يهتمّ بعلماء الجغرافيا البشرية والمؤرخين الَّذين ركّزوا في سَرْد التاريخ على الجغرافيا. وكان من أهمّ مَنْ ذَكرهم، في هذا الفصل، وليام مك نيل ومارشال هودجسون. وقد وضَّح، في شرحه نظريةَ مك نيل، وخصوصًا بعد كتابات توينبي وسبنغلر، أنَّ الحضارات - على خلاف الاعتقاد السائد - لا تَلقى مصائرها منفردةً، بل إنّ تفاعلها هو الَّذي يصوغ جوهر التَّاريخ العالمي"(ص ٣٩-٤١). ويُوضّح الكاتب، أيضًا، فكرة مك نيل، من خلال مقارنته بين مصر والعراق؛ إذ لا توجد لدى العراق حدود واضحة تحمي شعبها منَ التَّدخل الخارجي؛ مثل الجبال أو الصحاري العازلة، كما هي الحال في مصر. فعلى الرغم مِنْ أنَّ المناطق الصحراوية في العراق امتدادٌ للأراضي الزراعية، عبر ما يُعرف بـ"الهلال الخصيب"، فقد كان يسهل بالنسبة إلى أعداء العراق احتلالها، وكان يُفترض أن يَستخدم حكام العراق الوسائل الاستبدادية لفرْض تماسك المجتمع واستقرار البلاد (ص ٣٩-٤١). أمَّا مصر فهي على خلاف العراق؛ إذ لديها صحراء شاسعة على ضفّتي النيل من شأنها أن تحميَ حضارتها مِن الاحتلال الخارجي، ولقد كان بإمكان حكام مصر الحفاظ على الاستقرار من دون التَّطرق إلى وسائل العنف والاستبداد (ص ٣٩-٤١).

ويرى الكاتب أنَّ مارشال هودجسون، على الرّغم مِنْ عدم بروزه على السَّاحة الأكاديمية، على غرار جون إسبوسيتو وبرنارد لويس، فإنه هو الَّذي وضَع دراسة الحضارة الإسلامية ضمن التَّيارات الكُبرى في التاريخ العالمي (ص ٥). أمَّا نظرية هودجسون فمدارها على أنَّ الثقافة الغربية، بل حتى خرائطها، تُولي أوروبا أهميةً أكبر مِنْ أهميتها الحقيقية؛ فمركز الثِّقل الأساسي، في نظره، هو ما تسميه أوروبا نفسُها (الأويكومين)؛ وهي كلمة يونانية تعني (الحيّ المسكون)، ويرى أنّ منطقة (الأويكومين) تمتدُّ مِنْ أفريقيا الشمالية إلى الهند، وأنه من الممكن تعريف المنطقة الإسلامية فيها تعريفًا سلبيًّا؛ فهي، إذن، المنطقة التي لم تترك فيها الحضارات الهندية أو اليونانية جذورًا عميقةً، وهي مِنَ النيل إلى الجيحون (ص ٥٢، ٥٣). وكان ممّا ساعد الثقافة الإسلامية على الاتساع بحسب هودجسون هو أنَّ جزيرة العرب كانت مُحاصرةً بأراضٍ خِصبة مِنْ ثلاث جهات؛ وهي الشام والعراق واليمن، وأنّ جفاف الأراضي في الجزيرة جعَل لسكّانها غنيمةً في الأراضي المحيطة بها. وكان كلّ بلد منها مُتّصلًا، ثقافيًّا وجغرافيًّا، ببلد آخر؛ فدخول الإسلام إلى العراق ساعد على دخوله إلى بلاد فارس، ودخول الإسلام إلى الشام ساعد على دخوله إلى الأناضول، ودخول الإسلام إلى اليمن ساعد على وصوله إلى الحبشة (ص ٦٢).

الفصل الرابع

وهو المُسمَّى "الخريطة الأوروآسيوية"، وفيه يُراجع الكاتب أفكار هالفورد ماكندر الَّذي يَعدُّه أبا الجيوسياسية الحديثة (ص ٦٢). ويرى ماكندر أنَّ آسيا الوسطى تُعَدُّ المحور الأساسي الَّذي تُبنى عليه مصائر الإمبراطوريات العظمى لأنَّها تُعدُّ قلْب أوروآسيا (ص ٦٣). ويتّضح من ذلك أنَّ نظرية ماكندر مبنيّة على فكرة أنَّ التَّاريخ الأوربي خاضع للتاريخ الآسيوي؛ فالحضارة الأوروبية، بحسب تحليله، ناتجة عن الصراع ضدّ الاحتلال الآسيوي (ص ٦٤).

وإنَّ تشكيل المحافظات الأوروبية تحت الإمبراطورية الرومانية التي صارت - في ما بعد - الدول الأوروبية، كان نتيجة لاهتمام الرومان بتوحيد القبائل الأوروبية ضدّ التوسّع الآسيوي (ص ٦٥). ويوضّح ماكندر أنَّه لولا الغارات المغولية التي دمَّرت الشرق الأوسط وروسيا، لما أصبحت أوروبا المركزَ السياسي للعالم (ص ٧٩، ٨٠).

الفصل الخامس

وهو المُسمَّى "التشويه النَّازي"، وفيه يركِّز الكاتب على الطريقة التي أخذ فيها النازيون أفكار ماكندر، وخلقوا منها فكرة "الليبنسراوم". وقد أوضح أنَّ هناك نوعيْن من القوى على السَّاحة الدولية؛ هما القوى الأرضية، والقوى البحرية، فالقوى الأرضية من قبيل ألمانيا وروسيا، لا تكون، عادةً، مطمئنّةً؛ ذلك أنها تحبّ التوسع لأنَّها ترى في جوارها تهديدًا دائما، ولكنّ القوى البحرية مثل بريطانيا، والولايات المتحدة التي تفصلها عن أعدائها البحار، تكون أكثر اطمئنانًا؛ ولذلك فإنها لا تركِّز كثيرًا على التوسع الأرضي (ص ٨٣). وقد أخذ هذه الأفكارَ الألمانيُّ هاوسهوفر الذي كان من المستشارين الكبار لأدولف هتلر (ص ٩٠)، واستنتج منها أنَّ الدولة الألمانية لن تستقرَّ إلا إذا سيطرت على أوروبا الشرقية وروسيا سيطرةً تامةً.

الفصل السادس

اسم هذا الفصل، هو: "الأراضي ذات الأُطُر"، وفيه يركِّز الكاتب على أفكار الأميركي سبايكمان، الهولندي الأصل. وكان سبايكمان يكتب أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد طرح نظرية "الأراضي ذات الأُطُر"؛ ومفادها أنَّ البحار هي التي تُحدّد قوى الدول، وأنَّ كلّ كتلة أرضية يُمْكِن السَّيطرة عليها في حال السَّيطرة على بحارها. فالولايات المتحدة، بحسب سبايكمان، أصبحت قوّةً عالميةً لأنَّها تقَع على المحيطيْن؛ الهادي والأطلسي، فهذا الأمر، إذن، هو الذي منحها أفضل موقع جغرافي على سطح الكرة الأرضية (ص ٩٢)؛ وإنّ بحر الكاريبي، في نظر سبايكمان، هو البحر الأبيض المتوسط الأميركي، وإنّ الولايات المتحدة أصبحت قوّةً عظمى، بسيطرتها على البحر وحَفْرِها قناة بَنما (ص ١٠٣).

الفصل السابع

أطلق الكاتب على هذا الفصل اسم "جذْب القوّة البحرية"، وفيه يركِّز على أفكار مؤرّخ القوات البحرية ألفريد ثاير ماهان الذي يرى أنَّ القوّة البحرية، في صراع الهيمنة، أهمّ من القوّة الأرضية، وأنها أقلّ تهديدًا بالنسبة إلى الاستقرار العالمي (ص ١٠٣)، ويتّخذ كابلان روسيا مثالًا لشرح نظرية ماهان؛ إذ إنّ بُعد روسيا عن أيّ بحرٍ مفتوح هو الَّذي وضَع حدًّا لتوسّعها واستقطابها الثروات (ص ١١١-١١٣).

وتوقّع ماهان أنَّه لا يُمكن لأيّ دولة بمفردها أن تفرض السيطرة التَّامة على بحار العالم، فالحاجة إلى حليف مسانِد، أو عدّة حلفاء، يظلّ دائما أمرًا ضروريًّا. ويرى كابلان أنَّ تقلُّص حجْم البحرية الأميركية سنةً تِلوَ أخرى، يفرض عليها إيجاد حلفاء لمشاركتها في مراقبة بحار العالم وتأمين الملاحة العالمية (ص ١١٥، ١١٦).

> "الولايات المتحدة، بحسب سبايكمان، أصبحت قوّةً عالميةً لأنَّها تقَع على المحيطيْن؛ الهادي والأطلسي، فهذا الأمر، إذن، هو الذي منحها أفضل موقع جغرافي على سطح الكرة الأرضية"

الفصل الثامن

اسم هذا الفصل، هو: "أزمة المسافة"، وفيه يشرح كابلان نظرية براكن التي تُحذر من صعود آسيا العسكري. ومن الواضح أنَّ براكن يرى أنَّها حزام غير مكسور من الدول بين إسرائيل وكوريا الشمالية، وأنها باتت تمتلك الأسلحة النووية أو الكيمياوية (منها سوريا، وإيران، وباكستان، والهند، والصين)، وأنَّ تلك الدول تُطوِّر، إنْ لم تكن قد طوّرت، صواريخ قد تُوسّع أمداءَ تلك الأسلحة (ص ١١٥، ١١٦). ويرى براكن أنَّ هذه الأسلحة يجب أنْ تُغيِّر الفكر الإستراتيجي تجاه آسيا؛ لأنَّها جعلت المسافات التي كانت تُبعد بعض الجيوش الآسيوية من بعضها الآخر قصيرة (ص ١٢١-١٢٣). ويُحذِّر براكن، أيضًا، من النتائج السلبية التي قد تأتي بسبب ازدياد نسبة التَّمدن في آسيا؛ ومنها صعوبة الحصول على الاستقرار وانتشار الأيدولوجيات المُتطرفة. ولكنَّه يرى، في المقابل، أنَّ التَّمدن قد يعمل في انتشار الديموقراطية (ص ١٣٦).

الجزء الثاني:
خارطة بداية القرن الواحد والعشرين

الفصل التاسع

أطلق الكاتب على هذا الفصل اسم "جغرافية الانقسامات الأوروبية"، وفيه شرَح موقع أوروبا في الجيوسياسية العالمية. ويتوقّع كابلان إمكانية بناء أوروبا الوسطى والشرقية دُولًا مستقرّةً وثريّةً، وأنّ هذه الإمكانيّة نفسَها هي التي ستحدّد إمكانية أوروبا في حماية نفسِها من روسيا (ص ١٤٨). ويتوقّع، أيضًا، أنَّ الاتحاد الأوربي سيبقى مركزًا صناعيًّا عالميًّا، وأنّ هذا الاتحاد سيكون محوريًّا في السياسة الدولية

حتى في حال تغيّر ميزان القوى في أوروبا. وممّا توقّعه كابلان، كذلك، أنّ الدول الثلاث التي ستحدّد مصير أوروبا هي: ألمانيا واليونان وروسيا (ص ١٥٢). وتكمن أهمية اليونان في أنّها الدولة الوحيدة الّتي لديها عدّة منافذ على البحر الأبيض المتوسط في البلقان، وفي موقعها الإستراتيجي بوجهٍ عامّ، كما أنها على المسافة نفسها من بروكسل، إضافةً إلى أنّ سقوط اليونان في يد روسيا سيفتح لروسيا الباب لتصبح قوّةً بحريةً (ص ١٥٥).

الفصل العاشر

اسم هذا الفصل، هو: "روسيا والأراضي المركزية المستقلة"، وفيه يقول كابلان إنّ روسيا هي القوّة الأرضية الأولى في العالم، وإنّه بالنظر إلى أنها تمتدّ مسافةً تُقارب نصفَ العالم، فإنّ نقصان بحارٍ تحميها من التدخل الخارجي سيُبقي الرّوس غير راضين عن ذلك، وفي المقابل سيجعلهم متمسّكين بالنظرية التي ترى أنّ الحلّ الوحيد للدفاع عن أراضيهم هو التوسع (ص ١٧٥، ١٧٦). ومن ثمّة، ستبقى روسيا مُصرَّة على استرداد روسيا البيضاء، وأوكرانيا، وآسيا الوسطى، بسبب نظرتها التوسعيّة؛ إذ إنّ احتمال إنشاءِ تحالفٍ بين هذه الدول وإعادتها إلى النفوذ الرّوسي - على الرغم من صعوبة إحياء الاتحاد السوفيتي - يظلّ قائما (ص ١٨٤، ١٨٥)، على أنّ تمكُّن روسيا من استعادة دولة كازخستان، هو الذي سيُحدِّد مصيرَها في آسيا (ص ١٨٨، ١٨٩).

> ممّا توقّعه كابلان، كذلك، أنّ الدول الثلاث التي ستحدّد مصير أوروبا هي: ألمانيا واليونان وروسيا

الفصل الحادي عشر

اختار الكاتب لهذا الفصل اسم "جغرافية القوّة الصينية". فالصين قوّة قاريّة لا تستطيع مدّ نفوذها إلى الاتحاد السوفيتي القديم فحسب، بل إلى الخطوط المركزية للملاحة التي تبعد ٣٠٠٠ مِيل عنها؛ وذلك بفضل شواطئها التي تمتدّ ٩٠٠٠ مِيل، ولا سيما أنّ لها عدّة موانئ طبيعية. ويتوقّع كابلان أنّ النموّ الاقتصادي الصيني لا يُمكن أنْ يستمرّ في تحقيق معدّلات قريبة إلى العشرة في المئة سنويًّا، ولكنّ دمْج الصين للحداثة الغربية والمركزية الشرقية دمْجًا ناجحًا، من شأنه أن يساعد على بروزها اقتصاديًّا، على الساحة الدولية (ص ٢١٣)، وشرق آسيا خصوصًا، ممّا يُرشّحها لأن تكون مركزَ تنافسٍ بين القوّة البحرية الأميركية والقوّة الأرضية الصينية. أمّا تايوان وشبه الجزيرة الكورية فستُصبحان المِحوريْن الأساسيّين (ص ٢٢٧). ولكن إن حدث إدماج القوّة الاقتصادية الصينية في قوّتها العسكرية، فإنّ ذلك سيكون سببًا من أسباب التوتّر في السنوات المقبلة (ص ٢٢٨).

الفصل الثاني عشر

سمَّى الكاتب هذا الفصل "معضلة الهند الجغرافية". ويتوقّع كابلان أنَّ ازدياد التَّنافس بين الصين والولايات المتحدة للهيمنة على الهند، قد يَحسم المسار الجيوسياسي في أوروآسيا، وبناءً على هذا فإنَّ الهند هي أهمّ دولة محورية (ص ٢٥٢). وأمّا السبب الأساسي لعدم بروز الهند قوّةً منافسة للصين والولايات المتحدة، كما يُحدِّده الكاتب، فهو أنَّ الصين أكثر تنظيمًا، وذلك بغضِّ النظر عن عدم شيوع الديموقراطية فيها؛ فالصين على سبيل المثال تُضيف، في السنة الواحدة، لطرقاتها أميالًا، هي أكثر من مجموع الطرقات في الهند كلّها (ص ٢٦٦، ٢٦٧).

الفصل الثالث عشر

عنوان هذا الفصل، هو: "المحور الإيراني". وفيه أشار كابلان إلى أهمية إيران في السياسة الدولية، بفضل موقعها الجغرافي؛ فهي تمتلك ثالث أكبر مخزون نفطي في العالم، وثاني أكبر مخزون من الغاز ولكنّ موقعها الجغرافي يمنحها أهميةً أكبر من أهمية مواردها، بالنظر إلى أنَّها الدولة الوحيدة ذات المنافذ العديدة نحو الخليج العربي وبحر قزوين، إضافةً إلى أنها تتحكم في المنفذ البحري الوحيد لكثير من دول آسيا الوسطى (ص ٢٦٨). ويتوقّع كابلان أنَّ قوّة إيران الإقليمية قد تزداد إن حكَمها نظام أكثر اعتدالًا، وأنهّ لئن كان امتدادها الآن محدودًا بالشراكة مع سوريا وحماس وحزب الله، فإنّ تبنّيها سياسيةً أكثر اعتدالًا قد يفتح الباب لتأثيرها في آسيا الوسطى (ص ٢٦٩). ويضيف كابلان إلى ذلك قوله: إنّ إيران هي محور الشرق الأوسط كما أنَّ الشرق الأوسط هو محور أفريقيا وآسيا (ص ٢٨٥).

الفصل الرابع عشر

اسم هذا الفصل، هو: "الإمبراطورية العثمانية السَّابقة". فموقع تركيا الجغرافي بين أوروبا وآسيا أشبه ما يكون بالجسر، وهذا الأمر لا يمنحها ميزات إيران؛ ولهذا السّبب لا تستطيع تركيا أن تفرض سيطرتها على الشرق الأوسط بالطريقة نفسِها التي تفرضها إيران (ص ٢٨٨). غير أنّ تركيا تتحكم في مصبّات الأنهار المهمّة للشام والعراق ممّا يمنحها ورقة قوية؛ فبإمكانها، مثلًا، توصيل المياه إلى الضاحية الغربية في

فلسطين (ص ٢٩٢، ٢٩٣). ومن أهمّ الخطوات التي اتخذتها تركيا، هي، ابتعادها عن أوروبا، وتوجيه سياستيها الخارجية نحو الشرق الأوسط، وقد حدث هذا بسبب الاحتلال الأميركيّ للعراق، ويُلاحظ أنَّ الأتراك لن يُسمح لهم بدخول الاتحاد الأوربي (ص ٢٩٢، ٢٩٣)، وأنّ العولمة التي تُقرِّب الجماعات الكبيرة البعيدة، ساعدت أكثر فأكثر على جعْل الفكر التركي إسلاميًّا (ص ٣٠١، ٣٠٢). ويرى الكاتب أنَّه بإمكان تركيا في حال تعاملها مع إيران - على الرغم من صعود الحركات الإسلامية إلى الحكم - أنْ تُصبح مركزًا للطاقة المحلية (ص ٣٠١)، وأنَّ قوّة تركيا مُفيدة للغرب؛ فلولا وجود تركيا لأصبحت إيران القوّة المهيمنة على الشرق الأوسط (ص ٣٢٥، ٣٢٦).

الجزء الثالث: مصير أميركا

الفصل الخامس عشر

اسم هذا الفصل، هو، "بروديل، والمكسيك والإستراتيجية الكبرى"، وفيه يركِّز الكاتب على المخاطر التي قد تواجه أميركا مستقبلًا؛ إذ يرى أنَّ تدخُّل أميركا في حروب لا فائدة منها – كما هو الشأن في الشرق الأوسط - يُبعد تركيزها من الخصم الإستراتيجي الصيني، وأنّ الصين ستكون هي المستفيدة، حتى في حال تمكُّن الولايات المتحدة من تحقيق الاستقرار في أفغانستان (ص ٣٢٧).

ويرى كابلان أنَّ حملات أميركا العسكرية بعيدًا من موطنها، يمنعها من الاستفادة من نعمة العزلة الجغرافية (ص ٣٣١)، ثمّ إنه يقارن بين أميركا حاليًّا والإمبراطورية الرومانية في فترتها الأخيرة؛ فعندما كانت الجيوش الرومانيّة متفرّقةً في كلّ أنحاء العالم، كان ذلك تمهيدًا لسقوطها، لأنّ تفرّق جيوشها جعلها غيرَ قادرة على تجنيد جنودٍ عند الحاجة إلى ذلك، ولأنّ التّكاليف العسكرية أثّرت كثيرًا في اقتصادها. وينصح كابلان الولايات المتحدة بأن تتعلّم من هذا الدرس (ص ٣٣٢، ٣٣٣). ثمّ إنه يحذِّرها، من جهة أخرى، من عدم استقرار المكسيك، ويتوقَّع امتداد المشاكل المكسيكية إلى الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة، في حال عدم مساعدتها المكسيك على حلّ مشاكلها (ص ٣٣٤). ويوضّح كابلان أنَّ الهند وإسرائيل بالنسبة إلى السياسيّين الأميركان، اليومَ، هما أهمّ من المكسيك، على الرّغم من بُعدهما الجغرافي. ويرى أنَّه ينبغي لبعض السياسيّين أن يُصحِّحوا مُعتقَدَهم (ص ٣٤٦). ثمّ يُنهي كتابه بقوله إنّه ينبغي لأميركا أنْ تكون قوّةً مُوحِّدةً لشمال أميركا، إلى جانب كونها قوّةً موازيةً في أوروآسيا.

> يرى كابلان أنّ حملات أميركا العسكرية بعيدًا من موطنها، يمنعها من الاستفادة من نعمة العزلة الجغرافية، ثمّ إنه يقارن بين أميركا حاليًا والإمبراطورية الرومانية في فترتها الأخيرة؛ فعندما كانت الجيوش الرومانيّة متفرّقةً في كلّ أنحاء العالم، كان ذلك تمهيدًا لسقوطها

هذه هي خلاصة ما تناوله كابلان في كتابه "انتقام الجغرافيا"، ومن خلال عنوانه، تتّضح خطورة التغافل عمّا يحتويه من سَبْرِ أغوارِ عالمِ السياسة المجهول بالنسبة إلى الكثيرين من صانعي القرار وصانعي السياسات، من أجل ذلك ألقينا عليه الضوء من خلال طرْح النظرية الجيوسياسية، تلك النظرية التي غفَل عنها الكثيرون على الرّغم من أنها من الأهمية بمكان، وخصوصًا بالنسبة إلى الدول الكبرى، وصانعي القرار، والعاملين في أروقة المطبخ السياسي العالمي، فضلًا عن أهمّيتها الدّوليّة عمومًا، وذلك لِما تنطوي عليه من أهمية قصوى لا يستطيع عاقل إغفالها، ولا سيما أنّ العالم يعيش في ظلّ نظام العولمة، وفي ظلّ ثورة المعلومات، وثورة الاتصالات، وذلك بعد أن أصبح قريةً صغيرةً تمُوج كلَّ ساعة بالمتغيرات، ومن ثمّة كان لزامًا علينا توضيح ما هو أولى بالدراسة وأحرى، كما كان لزامًا علينا، أيضًا، تبسيطه.